

تفسير البحر المحيط

@ 258 .

الحرقوص : دويبة تولع بالنساء الأبقار ، وقيل : هو من الترصيص ، وهو انصمام الأسنان . .
 { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ * وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْعَكِيمُ * وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَكِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ
 تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
 تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا
 كَأَنَّهُمْ بُنْدِيَانٌ مَّرْصُوصٌ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ
 تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * أَنزَى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَا تَزَاغُوا
 أَزَاغَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * وَإِذْ
 قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
 مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ بِيَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنَ
 بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَا تَمَّسَّا . .

هذه السورة مدنية في قول الجمهور ، ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة . وقال ابن
 يسار : مكية ، وروى ذلك أيضا عن ابن عباس ومجاهد . وسبب نزولها قول المنافقين
 للمؤمنين : نحن منكم ومعكم ، ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك ؛ أو قول شباب من المسلمين :
 فعلنا في الغزو كذا ولم يفعلوا ؛ أو قول ناس : وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى ربنا حتى
 نعلم فيه ، ففرض الجهاد ؛ وأعلم تعالى بحب المجاهدين ، فكرهه قوم وفر بعضهم يوم أحد ،
 فنزلت ، أقوال . الأول : لابن زيد ، والثاني : لقتادة ، والثالث : لابن عباس وأبي صالح .

ومناسبتها لآخر السورة قبلها ، أن في آخر تلك : { رَّحِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لََّا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } ، فاقضى ذلك إثبات
 العداوة بينهم ، فحضر تعالى على الثبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم . والنداء ب
 { ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، إن كان للمؤمنين حقيقة ، فالاستفهام يراد به
 التلطف في العتب ، وإن كان للمنافقين ، فالمعنى { ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا }
 : أي بألسنتهم ، والاستفهام يراد به الإنكار والتوبيخ وتهكم بهم في إسناد الإيمان إليهم
 ، ولم يتعلق بالفعل وحده . ووقف عليه بالهاء أو بسكون الميم ، ومن سكن في الوقف
 لإجرائه مجرى الوقف ، والظاهر انتصاب { مَقْتًا } على التمييز ، وفاعل { كَبُرَ } : أن

{ تَقُولُوا ° } ، وهو من التمييز المنقول من الفاعل ، والتقدير : كبر مقت قولكم ما لا تفعلون . ويجوز أن يكون من باب نعم وبئس ، فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر بالتمييز ، وأن تقولوا هو المخصوص بالذم ، أي بئس مقتاً قولكم كذا ، والخلاف الجاري في المرفوع في : بئس رجلاً زيد ، جار في { أَنْ تَقُولُوا ° } هنا ، ويجوز أن يكون في كبر ضمير يعود على المصدر المفهوم من قوله : { لِمَ تَقُولُونَ } ، أي كبر هو ، أي القول مقتاً ، ومثله كبرت كلمة ، أي ما أكبرها كلمة ، وأن تقولوا بدل من المضمرة ، أو خبر ابتداء مضمرة . وقيل : هو من أبنية التعجب ، أي ما أكبره مقتاً . وقال الزمخشري : قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله : .

غلت ناب كليب بواؤها .

ومعنى التعجب : تعظيم الأمر في قلوب السامعين ، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظرائه وأشكاله ، وأسند إلى { أَنْ تَقُولُوا ° } ونصب { مَقْتاً } على تفسيره ، دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه ، واختير لفظ المقت لأنه أشدّ البغض ، ولم يقتصر على أن جعل البغض كثيراً حتى جعل أشدّه وأفحشه ، وعند ا□ أبلغ